من أساليب العربية في الدعاء

للدكتور ابراهيم السامرائي
عضو مراسل في المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

اريد ان اعرض لكلمة « الدعاء » في لغة التنزيل العزيز ثم اخلص من ذلك الى النظر في الدعاء لغة واسلوبا .

قال الله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

قال ابو اسحق الزجاج

يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الاتيان بسورة مثله » (٢) .

وقال الفراء : « وادعوا شهداءكم من دون الله » .

يقول : الهتكم ، يقول : استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : اذا اتيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه : استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة .

وقد يكون الدعاء عبادة كما في قوله تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم (٣) » ، وقوله بعد ذلك : فادعوهم فليستجيبوا لكم .

---

(١) ٢٣ البقرة

(٢) اللسان (دعو)

(٣) ١٩٤ الاعراف

يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم ان كانوا الهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فان دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم تعلمون انهم آلهة .

وقال ابو اسحاق في قوله : « اجيب دعوة الداع اذا دعان » (٤) :

معنى الدعاء لله على ثلاثة اوجه : فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا اله الا انت ، وكقولك : ربنا لك الحمد ، اذا قلته فقد دعوته بقولك : « ربنا » ثم اتيت بالثناء والتوحيد .

ومثله قوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ... » (٥) فهذا ضرب من الدعاء ، والضرب الثاني : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا ،

والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا ،وان سمي هذا جميعه دعاء ،لان الانسان يصدر في هذه الاشياء بقوله : ياالله يا رب يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء .

وفي حديث عرفة : اكثر دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وانما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لانه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه كالحديث الآخر :

اذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي اعليته افضل ما اعطي السائلين ،

---

(٤) ١٨٦ البقرة

(٥) ٦٠ غافر

وأما قوله عز وجل :

« فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين » (٦) ، المعنى انهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدعونه الا على الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين ، هذا قول ابي اسحاق (٧) .

قال : والدعوى اسم لما يدعيه ، والدعوى تصلح ان تكون في معنى الدعاء ،

لو قلت : اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين أو دعوى المسلمين جاز ، حكى ذلك سيبويه ، وانشد :

قالت ودعواها كثير صخبه

وأما قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » (٨) فيعني ان دعاء اهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه ، وهو قوله:

« دعواهم فيها سبحانك اللهم » (٩) ثم قال : « وآخر دعواهم ... » .

اخبر انهم يبتدئون دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره والثناء عليه ، فجعل تنزيهه دعاء وتحميده دعاء ، والدعوى هنا معناها الدعاء .

وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي » (١٠) .

---

(٦) ٩ الاعراف

(٧) اللسان (دعو)

(٨) ١٠ يونس

(٩) ١٠ يونس

(١٠) ٦٠ غافر

وقـــال مجاهد في قوله :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهـم بالغداة والعشي » (١١) ، قـــال : يصلون الصلوات الخمس .

وروي مثل ذلك عـــن سعيد بن المسيب في قوله تعالى :

« لن ندعو من دونه الهـــا » (١٢) ، أي لن نعبد الهـــا دونـــه .

والدعاء : الرغبة الى اللـــه ــ عز وجل .

وفي الحديث : لولا دعوة اخينـــا سليمان لاصبح موثقا يلعب بـــه ولدان اهل المدينة ، يعني الشيطان الذي عرض لـــه في صلاته ، واراد بدعوة سليمان ــ عليه السلام ــ قولـــه : وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد مـــن بعـــدي .

ومنـــه الحديث : « ساخبركم باول امري دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى » ، دعوة ابرهيم ــ عليه السلام ــ قولـــه تعالى : « ربنـــا وابعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك (١٣) ،وبشارة عيسى ــ عليه السلام ــ قولـــه تعالى : « ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد » .

وفي حديث معاذ ــ رضي الله عنه ــ لمـــا اصابه الطاعون قال : ليس برجز ولا طاعون ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ ، اراد قوله : اللهـــم اجعل فناء امتي بالطعن والطاعون .

: دعوت الله لـــه بخير وعليه بشر .

---

(١١) ٢٨ الكهـــف

(١٢) ١٤ الكهـف

(١٣) ١٢٩ البقـــرة

والدعاء واحـد الادعية .

هـذا هو معنى الدعاء ودلالته في اللغـة والاستعمال .

وقـد بلغت العربية في اسلوب الدعاء مبلغا قل ان نقف على نظيره في سائر اللغات القديمـة .

قلـت : « اللغات القديمة » لاخصص ان هـذا الاسلوب في صوره ودلالاته خاص بالعربية القديمة وان العربيـة المعاصرة قد خلت من هذه الصور البيانية التي تبرز في اساليب الدعـاء والاساليب الاخرى . الا ترى ان هـذه العربية الجديدة قد خلت من « المثل » وان كل ما يتمثـل بـه المعربون احيانا هو مثل قديـم استعير لمطالب الحياة الجديدة فـي بعض الاحايين . وقـد يقال : ان اللغات في عصرنا غير محتاجة الـى هذه الالـوان الفنية لان حاجات جديدة قد جدت صرفت المعربين الـى ان يجدوا في اللغـة ما يفي بها .

ومـن هنا كانت دراسة هذه الاساليب القديمة والوقوف عليهـا شيئا يدخل في معرفة تاريخ هذه اللغـة العريقة .

قالوا : الدعاء ينصرف للخـير كما ينصرف للشر ، وقـد يدرك هذا احيانا باستعمال الاداتين : « اللام » في الخير ، و « على » في الشر فيقال : ادعو لك ، وادعو عليـك .

ويتجاوز استعمال هاتين الاداتين اسلوب الدعاء الـى اسلوب « الخير » فينصرف كذلك الى الخير والشر فيقال مثلا : يوم لنا ويوم علينا

وقـد بقي في استعمال « على » شيء من هـذا الجنوح الـى

الشر (١٤) ، ولعل من اجل ذلك عيب قول ابي تمام في مطلع قصيدته البائية :

علـــى مثلها من اربـــع وملاعـــب اذيلت مصونات الدموع السوافك

قلت : ان الادب القديم قـــد حفل بكثير من فنون الدعاء ولنعرض لذلـــك فنقـــول :

تختلف جمل الدعاء في العربية فهي قد تبـــدأ بالفعل ، وقد تبـــدأ بالاسم المرفوع ، وقد تبـــدأ باللام ومدخوله ، وكثيرا ما يأتي مضمون الدعاء في عبارة مصدرة بالمصـــدر المنصوب .

فمـــما بدىء بالفعل قولهم :

عدمت خيرا (بالبناء للمفعول) ، ولقيت خيرا ، وصادفت رشـــدا ، ووقيت الشر ، وسهل اللـــه عليك ، وفرج الله عنك ، كل ذلك وغيره مما يتقرب بـــه دعاء . ولك ان تتسع في هذا فتنشىء ما تريد مما ترمي بـــه الى الخير مفصحا عن رغبتك في ذلـــك ، فيؤدي الدعاء كان تقول : هداك اللـــه وبلغت مرادك ، ووفقك الله .

ومثل هذا ما ينصرف الى الشر ارادة الدعاء نحـــو :

عدمت خيرا ولقيت شرا ، وقاتلك الله ، ولعنك الله وغير ذلك .

ومـــن هذا الفاظ التصلية والتسليم والرحمة والرضوان علـــى النبيين والاولياء وسائر الصالحين فنقول في « الصلاة والسلام » علـــى نبينـــا محمد : صلى الله عليه وسلم .

ونقول : عيسى وموسى وسائر الانبياء : عليهـــم السلام .

---

(١٤) على انه ينبغي الاحتراز في هذا فنقول : قد تستعمل « على » في الدعاء للشر كقولنا : عيسى — عليه السلام — وغيره من انبياء الله بخلا .
كان يقال : عليه ازكى الصلاة واتم التسليم .

ونقول : ومن حديث علي ـ عليه السلام ـ او رضي الله عنه ، وقد ورد ايضا كرم الله وجهه .

ونقول : وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ .

كما نقول : ومما اثر عن الامام الشافعي واضرابه : رضي الله عنهم

وقد تبدا عبارة الدعاء بالاسم المرفوع نحو :

رحمة الله عليه ، ورضوان الله عليه ، وسلام الله عليه ...

كما نقول : لعنة الله عليه (١٥) ، وقد يعطف عليه كقولهم : لعنة الله وغضبه عليه .

وقد يؤخر المرفوع فيبدا باللام ومدخوله نحو .

لك الحمد ولك الخير ولك السعد .

كما نقول : لك الله ، قال المتنبي في رثاء جدته :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

كما يقال : لك الويل ، قال الفرزدق:

لك الويل لا تقتل عطية انه ابوك ولكن غيره فتبدل

وقد ترد عبارة الدعاء مصدرة بـ « لا » النافية بعدها فعل ماض نحو : لا فض فوك في استحسان قول احدهم كلته قيل : احسنت .

والمعنى : لا تكسر اسنانك ، والفم ههنا الاسنان كما يقال : سقط فمه بمعنى الاسنان .

وقد ترد العبارة بالفعل المضارع : لا يفضض الله فاك .

---

(١٥) القول : والدعاء باستعمال « غضب الله » ينزل بالمدعو عليه من لغة العامة ايضا في مصرنا .

ومن ذلك حديث النابغة الجعدي لما انشد الرسول الكريم القصيدة الرائية قال : لا يفضض الله فاك ، قال : فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن .

وفي حديث العباس بن عبد المطلب انه قال : يا رسول الله اني اريد أن امتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك ، ثم انشده الابيات القافية .

ومثل هذا : لا عدمتك ، ولا ظفر حاسدوك .

ومن المناسب أن نشير الى أن الفعل « زال » المفيد للاستمرار يترشح للدعاء اذا سبقه « لا » كقول ذي الرمة :

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومن المفيد أن اشير قبل الكلام على « انهلال القطر » في البيت ، الى ان صدر البيت قد حفل بنمط آخر من الدعاء وذلك بالامر في « يا اسلمي » والخطاب الى « دار مي » . يدعو الشاعر للدار أن تسلم على البلى فلا ينال منها الزمان شيئا .

اقول : واستعمال الامر كثير في لغة الدعاء ، ولعله اكثر شيوعا من الصيغ الاخرى وهذا يعني ان « الامر » قد خرج الى الدعاء والالتماس رغبة في شيء ينصرف الى الخير حينا والى الشر حينا اخر . ويأتي في لوازم هذه الجمل الدعائية اسلوب النداء المتمحض للدعاء كقولنا: اللهم انصرنا على الاعداء ، وربنا اهدنا الى سواء السبيل . وانت واجد من هذا الاسلوب الشيء الكثير مما حفلت به لغة التنزيل العزيز كما سنرى .

ولنعد الى بيت ذي الرمة فنقول ان دعاءه بانهلال القطر اسلوب درج عليه العرب في جاهليتهم واسلامهم . وان هذا الدعاء

يكاد يكون احيانا كالنعمة الا ترى ان هـذا يتحقق في قول النابغة :

نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فاذا كان غيث (١٦) كان منه لهـم سقي وخصب ثـم رعي .

وليس قولهم : « رعاك الله » الا مشيرة الى هـذا الاصل القديم الذي هو الرعي للسائمة من الابل وغيرها ، فكان قولهم « رعاك اللـه » المراد بهـا « الرعاية » تلمح الى دأب الرعاء مع ابلهـم .

ومـن الغيث قالوا جـادك الغيث اي اصابا غيـث جود وهو الغزيـر .

والدعـاء بالسقي كثير في الادب القديم ، قـال جرير :

اذكـر اذ تودعنا سلمـى بغـرع بشامة سقي البشام

وقولـه :

متـى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتهـا الخيام

وليس اتفاقا ان يجيء « الغوث » بمعنى النجـدة من « الغيث » وهو الرحمة والخصب والخير والبركة ، وهو غير « المطـر » في هذه الخصوصية الدلاليـة .

قـال الاصمعي : اخبرني ابو عمرو بن العلاء قـال :

سمعت ذا الرمة يقول : قاتل الله امـة بني فلان ما افصحها !

قلت لهـا : كيف كان المطر عندكم ؟ فقالت غثنا ما شئنا .

---

(١٦) اقول فرق العرب بين الغيث والمطر فكان الغيث في الاغلب الاعم خيرا وخصبا وبركة، وان يكون مذابا البتة ، اما المطر فينصرف الى العذاب ، كما ينصرف الى حقيقته غير انه لم يرد في القرآن الا في معرض العذاب والشر وذلك في خمس عشرة آية في سور مختلفـة .

والمعنى : سقينا ما شئنا . وهكذا عدلت عن « المطر » في سؤال السائل الى « الغيث » ..

وقد تأتي عبارة الدعاء مبدوءة بمصدر منصوب كقولهم : سقيا ورعيا ، وحمدا لك اللهم ، واهلا وسهلا وغير هذا .

وقد يأتي أسلوب الدعاء رسما من رسوم الادب مما يقتضيه الظرف وحسن المعاشرة ، ومن ذلك قولهم للملك دعاء له :

« بالرفاء والبنين » اي بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع .

قال ابن السكيت : وان شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمأنينة ، ففي الحالة الاولى يكون الاصل « رفأ » ، وفي الحالة الثانية يكون الاصل « رفأ » آخره الف من قولهم : رفوت الرجل اذا سكنته .

قالوا : رفأه ترفئة وترفيئا : دعا له : قال له : بالرفاء والبنين .

وقالوا . رفع بمعنى رفأ . وفي الحديث : كان اذا رفع انسانا قال : بارك الله عليك .

ومن هذا الباب قولهم في الدعاء للعاطس : يرحمك الله .

وهو التسميت اي ذكر الله ـ عز وجل ـ على كل حال ، وقيل : معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق .

وقد سمته اذا عطس ، فقال له : يرحمك الله ، اخذ من السمت الى الطريق والقصد ، كأنه قصده بذلك الدعاء ، اي جعلك الله على سمت حسن .

ومن هذا الباب ايضا ما يقال للعاثر :

حوجا لك : اي سلامة .

ولما كان الحديث عن العاثر فمن المفيد ان نشير الى ما جاء في هذا من قولهم :

التعس : العثر ، والتعس ان لا ينتعش العاثر من عثرته وان ينكس في سفال .

قال ابو اسحاق في قوله تعالى : « فتعسا لهم واضل اعمالهم » ، يجوز ان يكون نصبا على معنى اتعسهم الله . وقال الاعشى :

بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا

ويدعو الرجل على بعيره الجواد اذا عثر فيقول : تعسا ! فاذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له : لعا .

وقد يجتزأ من « لعا » بقولهم : عا لك عاليا للدعاء بالاقالة ، انشد ابن الاعرابي :

اخالك الذي ان زلت النعل لم يقل : تعست ، ولكن قال : عا لك عاليا

ما جاء في الدعاء في لغة التنزيل :

قال تعالى :

الا بعدا لعاد قوم هود ٦٠ هود .

الا بعدا لثمود ٦٨ هود .

الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ٩٥ هود .

والبعد هنا الهلاك ، وقوله : بعدت ثمود اي هلكت ، قال مالك ابن الريب :

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنونني وأين مكان البعد الا مكانيا

وقد فرق في الفعل بين البعد بمعنى الهلاك ، والبعد بمعنى الابتعاد فقيل في الاولى « بعد » مثل « فرح » ، وفي الثانية : « بعد » مثل «كرم » وهذا شيء من لطائف هذه اللغة الكريمة . قال المتنبي :

ابعد بعدت بياضا لا بياض لـه لانت اسود في عيني من الظلم

ومن الدعاء قوله تعالى :

تبت يدا ابي لهب

اي ضلتا وخسرتا ، وقال :

اخسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صاحبها ماذا فعل

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

فتعسا لهم واضل اعمالهم ٨ محمد .

اي هلاكا لهم .

وقوله تعالى :

« واجعلني لك مخبتا » .

اي خاشعا مطيعا . واخبت لله اي خشع وتواضع .

وفي التنزيل العزيز : « فتخبت له قلوبهم » اي تخشع .

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ١٠ يونس .

« ولا تعدم الآية الاولى من « الفاتحة ان تكون مفيدة للدعاء لمن يتلوها :

الحمد لله رب العالمين .

ومثل هذا دعاء الصلاة : « لك الحمد ملء السموات والارض » .

ومن الدعاء أيضا قوله تعالى :

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » ١٠ يونس .

وقد يتوصل الى الدعاء بالمصدر « حمدا »فيقال : حمدا لك اللهم .

ومن الدعاء في لغة التنزيل العزيز :

« فسحقا لاصحاب السعير » ١١ الملك .

والسحق : البعد ، فكان المعنى فبعدا لاصحاب السعير .

ومكان سحيق اي بعيد .

وفي التنزيل : « أو تهوي به الريح في مكان سحيق » .

وحديث « السلام » مستفيض في لغة التنزيل ، وهو في آي كثير يراد به الدعاء ومنه :

واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم .	٥٤ الانعام
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم .	٤٦ الاعراف
وتحيتهم فيها سلام .	١٠ يونس
لقد جاءت رسلنا بالبشرى قالوا سلاما قال سلام	٦٩ هود
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤ الرعد
وسلام عليه يوم ولد ...	١٥ مريم
والسلام علي يوم ولدت ...	٢٣ مريم
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين	١٨١ الصافات

ومن الدعاء قوله تعالى :

« ربنا اطمس على اموالهم » ٨٨ يونس .

أي غيرها . وقد ورد « الطمس » في لغة التنزيل ومنه قوله : « ولو نشاء لطمسنا على اعينهم »

وقال تعالى :

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ٢٦ الرعد .

ذهب سيبويه بالآية مذهب الدعاء .

ويحسن بنا أن نقف طويلا على كلمة « طوبى » التي افادت الدعاء لنقول فيها شيئا وذلك لخصوصيتها واختلاف الاقوال فيها .

طوبى : فعلى من الطيب ، كان الاصل « طيبى » فصير الى الواو لمكان الضمة فيها .

ويقال : طوبى لك وطوباك .

قال يعقوب : ولا تقل : طوبيك .

وجاء في « التهذيب » : ان العرب تقول طوبى لك ، ولا تقول طوباك .

وهذا قول اكثر النحويين الا الاخفش فانه قال : من العرب من يضيفها فيقول : طوباك .

وقال ابو بكر : طوباك ان فعلت كذا .

قال : هذا مما يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا .

وقالوا : طوبى : شجرة في الجنة .

وقرأ ثعلبة : « طوبى لهم وحسن مآب » فجعل « طوبى » مصدرا كقولك :

سقيا لـــه . ونظيره من المصادر الرجعى ، واستدل علـــى ان موضعه نصب بقولـــه :

« وحســـن مـــآب » .

وهـــو خلاف ما ذهب سيبويه الى ان موضع « طوبى » الرفع عطف عليـــه بقولـــه :

« وحسن مآب » مرفوعـــا .

قال ابن جني : وحكى ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني فـــي كتابه الكبير في القراءات ، قال : قـــرأ علي اعرابي بالحرم : « طيبى لهم » فاعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فاعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فلمـــا طال علي قلت : طو طو ، فقال : طي طي .

قـــال الزجـــاج :

جـــاء في التفسير عن النبي ـــ صلى اللـــه عليه وسلـــم ـــ : ان « طوبى » شجرة في الجنـــة .

وقيل : طوبى لهم حسنى لهم ، وقيل : خير لهم ، وقيل : خيرة لهم.

وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل بالحبشية (١٧) .

وقال قتادة : طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا ، وانشـــد :

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورسلا بيقطين العـــراق وفومها

---

(١٧) قال الصاغاني : لعلى هذا ينبغي ان تكون في الهندية « توبا » بالتاء وذلك لان الطاء غير معروف في الهندية .

اقول : ومن قال : طوبى عربية فقد ادرك الصواب ولله الحمد لان اصل « ط و ب ، ط ي ب » من الاصول العربية القديمة في العربية وسائر اخواتها من اللغات السامية .

ومن الدعاء قوله — عز وجل — :

قال : اعوذ باللـه أن اكون من الجاهلين ٦٧ البقرة

قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨ مريم

قال : معاذ الله انه ربي احسن مثواي ٢٣ يوسف

ومن الدعاء أيضا قولـه تعالى :

هب لنا من لدنك رحمة ٨ آل عمران

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ٧٤ الفرقان

وقولـه تعالى :

وقال رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت علي ١٦ — النمل

وقولـه تعالى :

قاتلهم اللـه انى يؤفكون ٤ المنافقون

ونجتزي بهذا القدر مما ورد من الدعاء في لغة التنزيل العزيز .

وفي الحديث : « طوبى للمفردين » اي الذاكرين اللـه كثيرا .

مـا جاء من صور اخرى في كتب العربية ومـاوردها مرتبة بحسب اوائل المـواد التي وردت فيها في تلك المظـان :

اثـر :جاء في دعاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب — عليه السلام — على الخوارج قولـه :

« ولا بقي منكم آثـر » اي مخبر يروي الحديث .

الربيد :

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ : انه نقم على رجل قولا قاله ، فقال له : اربت عن ذي يديك ، معناه : ذهب ما في يديك حتى تحتاج .

وفي خبر ابن مسعود : ان رجلا اعترض النبي ـ صلى الله عليه وسلم فصاح به الناس ، فقال ـ عليه السلام ـ : دعوا الرجل ارب ما له ، اي سقطت اعضاؤه واصيبت .

قال . وهي كلمة تقولها العرب ولا يراد بها ، اذا قيلت ، وقوع الامر كما يقال :

عقرى وحلقى ، وقولهم : تربت يداك .

قال ابن الاثير : في هذه اللفظة ثلاث روايات :

احداها « ارب » بوزن « علم » ومعناه الدعاء عليه ، اي اصيبت اعضاؤه وسقطت ، وهي كلمة لا يراد بها وقوع الامر ، كما يقال : تربت يداك ، وقاتله الله ، وانما تذكر في معنى التعجب .

قال : وفي هذا الدعاء من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولان :

احدهما : تعجبه من حرص السائل ومزاحمته .

والثاني : انه لما رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشرية، فدعا عليه .

وقد قال في غير هذا الحديث : اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة .

لبـــت :

قـــال سيبويه : قالوا امت في الحجر لافيك ، اي ليكن الامت فـــي الحجارة لا فيـــك ،

ومعناه : ابقاك اللـــه بعد فناء الحجارة ، وهي مما يوصف بالخلود والبقـــــاء .

ورفعوه وان كـــان فيه معنى الدعاء ، لانـــه ليس بجار على الفعل ، وصار كقولك : التراب لـــه ، وحســن الابتداء بالنكرة ، لانـــه في قـــوة الدعـــاء .

اقـــول : وفي هذه العبارة التي تنصرف الى الدعاء لون من الوان صلة اللغـــة واشكالها الادبية بالبيئة ، ومثل هذه البيئـــة البدوية الشيء الكثير الذي ابقتـــه العربية في ادبها شعرا ونثرا ومثلا وغير ذلـــك .

اوب .

ويقـــال : للداخل : طوبة واوبـــة .

بؤسى :

وقالوا : بؤســا لـــه ، في حد الدعاء ، وهو مما انتصب على اضمار الفعل غير المستعمل اظهـــاره .

وقالوا : جوسا لـــه وبوسا . والجوس الجوع ومسغبة .

بـــرك :

والتبريك : الدعاء للانسان او غيره بالبركـــة .

يقـــال : بركت عليه تبريكا اي قلت لـــه : بارك الله عليك . وبارك اللـــه الشيء وبارك فيه وعليه : وضع فيـــه البركة .

وفي التنزيل العزيز : وباركنا عليـــه .

ومـــن هذا ما هو جار في اللغة المعاصرة فهم يقولون دعاء : بارك اللـــه فيك ، وبورك فيك ، وبوركت .

بجـــل :

قـــال طرفـــة :

الا انتـــي شربت اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل

قـــال : اراد المـــاء ،

وقـــال شمر : وقيل اراد سقيت سم اسود .

بعـــد :

والبعـــد : الهلاك ، وقد مـــر في الكلام على لغـــة التنزيل .

بلس :

ويقال : ارانيك اللـــه على البلس . والبلس غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشـهر عليها من ينكل بـــه وينادى عليه .

تبـــب :

التب والتباب : الهلاك والخسران .

وتبا لك نصب على الدعاء كما تقول سقيا لـــك .

وفي حديث ابي لهب : تبـــا لك سائر اليوم ، الهذا جمعتنا .

وقـــد مر بنا هذا الدعاء في لغـــة التنزيل .

تـــرب :

يقال : تربا لـــه وجندلا ، وهذا من الاسماء التي تفيـــد الذات اجريت مجرى المصـــادر المنصوبة على اضمار الفعل غير المستعمـــل اظهاره في الدعـــاء .

وكانه بـــدل من قولهم :

تربت يـــداه وجندلت .

وفي الحديث : « ان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : تنكح المـــرأة لمالها ولجمالها ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يـــداك » .

قال ابو عبيد : قوله : تربت يداك ، يقال للرجل اذا فعل ذلك : قد ترب اي افتقر ، حتى لصق بالتـــراب .

ومنه قوله تعالى : او مسكينا ذا متربـــة .

قـــال : ويرون ان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لم يقصد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على السن العرب يقولونها ، وهم لا يريدون بهـــا الدعاء على المخاطب ولا وقوع الامر بهـــا .

وقيـــل معناها لله درك ، وقيل : اراد بـــه المثل ليرى المأمور بذلك الجـــد ، وانه ان خالفه فقد اساء .

وقيـــل : هو دعاء على الحقيقة ، فانه قد قال لعائشـــة ـــ رضي اللـــه عنهـــا :

تربت يمينك ، لانـــه رأى الحاجة خيرا لهـــا .

قـــال : والاول الوجه . ويعضده قوله في حديث خزيمة رضي الله عنه : أنعم صباحا تربت يداك ، فان هذا دعاء لـــه وترغيب في امتثاله

ما تقدمت الوصية به . الاتراه قال : انعم صباحا ، ثم عقبه بقوله : « تربت يداك » .

وكثيرا ما ترد للعرب الفاظ ظاهرها الذم وانما يريدون بها المدح كقولهم : لا اب لك ، ولا ام لك ، وهوت امه ، ولا ارض لك ونحو ذلك.

وقال بعض الناس : ان قولهم : تربت يداك يريد به استغنت يداك .

قال : وهذا خطأ لا يجوز في الكلام ، ولو كان قال لقال : اثرت يداك .

ترك :

والترك : العذق اذا نفض فلم يبق فيه شيء ، ولا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك كله اتباع .

وجاء في اراجيزهم المشهورة في شواهد العربية :

لقد رايت عجبا مذ امسا
عجائزا مثل السعالي خمسا
يلكان ما في رحلهن همسا
لا ترك الله لهن ضرسا
ولا تبين الدهر الا تمسا

تمس :

اقد مر بنا في قوله تعالى :

« فتمسا اهم واضل اعمالهم » .

واصل التمس الغمز .

وقال الشاعر :

وارماحهم ينهزنهم نهـز جمـة يقلن لمسن ادركن تعسا ولا لعسا

على أن استعمال « التعس » وارادة الدعاء فيه قد بقي في اللغة المعاصرة وان جهل المعربون انه دعاء ، فيقال مثلا : تعسا لك . ويقال : تعسا له ونكسا .

والنكس والنكاس : العود في المرض .

وفي حديث ابي هريرة : « تعس عبد الدينار وانتكس اي انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة .

توس :

ويقال : توسا لك ، مثل قولهم : بوسا لك ، وقد مر بنا ذلك .

تـوب :

التماس التوبة في احاديث الدعاء كثير ، كقولهم : اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتب علينا ...

وفي دعاء السفر : يقال :

توبا لربنا اوبا ، اي توبا راجعا مكررا .

ثكل :

يقال في الدعاء على رجل :

ثكلتك امك .

والثكل : الموت والهلاك . والأم ثاكل وثكول وثكلى .

وفي الحديث انه قال لبعض اصحابه : ثكلتك امك اي فقدتك ، والثكل فقد الولد .

ولا يقال : ثكلك ابوك .

على انـــه يقال في الدعاء : لا اب لك كما يقال لا ام لك .

وقال ابو علي : « لا ابـــا لك » كلام جرى مجرى المثل ، وذلـــك انك اذا قلت هذا فانك لا تنفي في الحقيقة ابـــاه ، وانما تخرجه مخرج الدعاء عليه ، اي انت عندي ممن يستحق ان يدعى عليه بفقد ابيـــه ، وانشد توكيدا لمـــا اراد من هذا المعنى قوله :

ويترك اخرى فردة لا اخا لهـــا .

واســم يقل : لا اخت لها ، ولكن لمـــا جرى هذا الكلام على افواههم : لا ابـــا لك ولا اخا لك قيل مع المؤنث على حـــد ما يكون عليه مع المذكر ، فجرى هذا نحوا من قولهم لكل احد من ذكر وانثى او اثنين او جماعـــة :

الصيف ضيعت اللبـــن .

ويؤكـــد عندك خروج هذا الكلام مخرج المثل كثرته في الشـعر ، وانه يقال لمـــن له اب ولمن لا اب له ، لانه اذا كان لا اب له لم يجـــز ان يدعى عليه بما هو فيه لا محالة ، الا ترى انـــك لا تقول للفقير افقره اللـــه ؟ فكما لا يقول لمـــن لا اب له : افقدك الله اباك ، كذلك تعلم ان قولهم لمـــن لا اب له : « لا ابـــا لك » لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظـــه ، وانما هي خارجة مخرج المثل على مـــا فسره ابو علي ، قال عنترة :

فاذني حياتك لا ابا لك! واعلمي انني امرؤ سأموت ، ان لم اقتل

وقـــال المتلمس :

الف الصحيفة ، لا ابالك ، انـــه يخشى عليك من الجباء النقرس

ويدلك على ان هـــذا ليس بحقيقة قول جرير :

يـــا تيم تيم عدي لا ابـــا لكم لا يلقينكم في سوءة عمـــر

فهـذا اقوى دليل على ان هذا القول مثل لا حقيقة لـه ، الا ترى انـه لا يجوز ان يكون للقيم كلها اب واحـد ، ولكنكم اهل الدعاء عليه والاغـلاظ لـه ؟

وروي عن النضر بن شميل : انـه سأل الخليل عن قول العرب : لا ابـا لك ، فقال : معناه لا كافي لـك .

وقـال الفراء : قولهم : « لا ابـا لك » كلمة تفسل بهـا العرب كلامهـا .

اقـول : ومقالة الفراء ذات قيمة ولـو انك قرأت قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ، لا ابا لك ، يسأم

احسست أن قوله : « لا ابـا لك » كلام معترض لا يـدل على خصوصية معنوية ، بل هو تعبير جميل استحسنوه فاستعملوه كثيرا واقيم بـه الوزن في البيت .

الا ترى ان قولهم في الشعر : هديت ووقيت ونحوهما شيء يقيم بـه الوزن وليس من ارادة للدعاء .

اما قولهم : لا ام لك فقد ورد في حديث ابن عباس انه قال لرجل : « لا ام لك » قـال : هو ذم وسب ، اي انت لقيط لا تعرف لك ام ، وقيل قد يقع مدحا بمعنى التعجب منـه .

اقـول : وهذا الشيء الاخير ، وهو ان عبارة الذم الدعائية يراد بهـا المدح ، جارية في الالسن العامية الدارجة ، الا تراهم يقولون : يخرب بيتك أو انهجم بيتك ، أو اللـه يلعنك ارادة المدح على طريقـة التعجـب ؟

السب :

والإتلب او الاتلب : التـراب .

وقالوا : بفيه الاتلب على الدعاء ، كانهم قالوا بفيه التراب او الحجر .
وقالوا : الاتلب لك والتراب ، والنصب على الدعاء كانـه مصدر .

وهكـذا نرى ان « التراب » وما في معناه او يقرب منه قد دخل في اللغـة القديمة في السب والشتم والذم فخرج على الدعاء ، وقد مـر بنـا قولهم : تربت يداك .

جحـد :

والجحد : القلة من كل شيء .

وتكدا لـه وجحدا دعاء عليه .

جـرب :

والعـرب تقول في دعائها على الانسان : ما لـه حرب وجرب .
والحرب كالكلب ، وقوم حربى كلبى والفعل كالفعل .

والجرب معروف .

جنـدل :

انظر : تربـا وجندلا الذي مر بنا قبل صفحات .

جوس :

انظـر « بؤس » .

حـرب :

انظـر جـرب .

حـــرر :

تقول العرب : ما لـــه أحر الله صدره ، وذلك في الدعاء على الانســـــان .

ويقولون ايضـــا

رمـــاه الله بالحرة والقرة ، اي بالعطش والبرد .

حلـــق :

ومـــا يدعى على المـــراة قولهم : عقرى حلقى وعقرا حلقا اي عقرها اللـــه وحلقها اي حلق شعرها او اسابها وجسع في حلقها .

حـــوب :

قالوا : اليك ارفع حوبتي اي حاجتي ، وفي روايـــة : نرفع حوبتنا اليـــك .

وفي الدعاء علـــى الانسان :

الحق اللـــه بك الحوبة ، اي الحاجة والمسكنة والفقـــر .

حـــوج :

يقال للعائر : حوجا لـــك اي سلامة ، وقد مـــر بنا هنا .

خضر :

ويقال في الدعاء : ابـــاد الله خضراءهم ، اي سوادهم وسوامهم ، وقيـــل : خصبهم وسعتهم .

وقالوا ايضـــا : رمى اللـــه في عيني فلان بالاخضر ، وهو داء يأخذ العيـــن .

خطـا :

في حديث ابن عباس : انـه سئل عن رجل جعل امـر امراتـه بيدها فقالت : انت طالق ثلاثا . فقال: خطا اللـه نواها الا طلقت نفسها .

ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح : اخطا نوؤك ، اراد اللـه نواها مخطئا لا يصيبها مطره .

ويروى : خطى اللـه نواها ، بلا همز .

خلـب :

وفي حديث الاستسقاء : اللهـم سقيا غير خلب .

خـير :

ومـن دعائهم في النكاح : على يدي الخير واليمن .

ذرا :

وجاء : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبرا .

رفـا :

قالوا : بالرفاء والبنين في الدعاء للملك وقد مر بنـا انظرها قبل صفحـات .

رفـح :

انظر الموضوع نفسه (رفـا) .

رقـا :

وروى المنذري عن ابـي طالب في قولهم : لا ارتـا الله دمعته ، قـال : معناه لا رفع اللـه دمعته .

وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ : فبت ليلتي لا يرقا لي دمع .

ورقأت الدمعة ترقأ ورقوءا : جفت وانقطعت .

سحق :

ويقال : سحقا لهم اي هلاكا ، وانظر ما جاء من هذا في لغة التنزيل مما افاد الدعاء وقد ذكر قبل صفحات .

سلم :

مر بنا حديث « السلام » ودلالته في الدعاء في جملة آيات كريمة .

طمس :

مر بنا في الكلام على ما في آي القرآن من الدعاء .

طوب :

سبق الكلام على « طوبى لهم » .

ظبي :

(وانظر عدد) :

وقولهم : به لا بظبي ، يراد به الهلكة كما ورد في قول الفرزدق يخاطب مسكينا الدارمي وكان قد رثى زياد بن ابيه فقال :

امسكين ، ابكى الله عينك انما ... جرى في سلال دمعها فتحدرا

اقول له لما اتاني نعيه ... به لا بظبي بالصريمة اعفرا

أتبكي امرءا من آل ميسان كافرا ... ككسرى على عدانه او كقيصرا

عثج :

وجاء في تلبية بعض العرب في الجاهلية :

لا هـم اولا ان بكرا دونكا

يعبـدك النـاس ويفجرونكا

مـا زال منـا عشج ياتونكا

والعشج ، بفتحتين ، : الجماعة مـن الناس .

عقـر :

انظـر « حلق » .

وجـاء ايضـا :

وقالت ام سلمة لعائشة ـ رضي الله عنها ـ عنـد خروجهـا الـى البصرة :

سكن اللـه عقيراك فلا تصحريها ، اي اسكنك اللـه بيتك وعقارك وسترك فيه فـلا تبرزيه .

عمـي :

قالوا : واذا ارشدك انسان الطريق فقل :

لا يعـم عليك الرشد .

وهو دعاء لـه بالخير والهدى .

عمـر :

وعمره اللـه وعمره اي ابقاه ، على الدعاء .

غبـط :

وجـاء في الدعاء : اللهم غبطا لا هبطا ، اي نسالك الغبطة ونعوذ بـك ان نهبط من حالنا .

غـــرب :

وجـــاء في دعاء ابن هبيرة :

اعوذ بك من كل شيطان مستغرب وكل نبـاي مستغرب .

غضر :

ويقال ابـــاد الله غضراءهم ، اي سعتهم وخصبهم .

غفـــر :

غفار ! غفر الله لهـــا .

قال ابن الاثير : يحتمل أن يكون دعاء لهـــا بالمغفرة او اخبارا ان اللـــه تعالى قد غفر لهـــا .

غـــور :

وقالوا : غارهم اللـــه بخير اي اصابهم بخصب وغيث .

وفي الدعاء : اللهـــم غرنا منك بغيث وبخير .

فـــدي :

ويقال : فدى لـــك اهلي ، على الدعاء اي يفديك اهلي .

ويقال : فداك ابي كمـــا يقال : فديت .

وكثيرا ما نقـــرا : جعلت فداك .

وانشد الاصمعي للنابغـــة :

مهلا ! فداء لك الاقـــوام كلهم ومـــا اثمـــر مـــن مال ومـــن ولد

ومنـــه قول نفيلة الاكبر الاشجعي (ازر) :

الا ابلغ ابـــا حفص رسـولا فدى لك من اخي ثقـــة ازاري

قتـــل :

انظر ما جـــاء من اسلوب الدعاء في ادب القرآن الكريم .

قـــذي :

وجـــاء قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغـــر من انيابها بالقوادح

قـــرر :

ويقال : اقر الله عينه ، من المقرور وهو الماء البارد .

الكـــث :

وروي عن صفوان بن امية انـــه قال يوم حنين عند الجولة التـــي كانت من المسلمين ، فقال ابـــو سفيان : غلبت والله هوزان ، فاجابـــه صفوان وقـــال :

بفيك الكثكث لان يربني رجـــل من قريش احب الي من ان يربني رجـــل من هوزان .

كـــلا :

وقـــال الشـــاعـــر :

ان ســـايســـي واالـــه يكلؤهـــا ضنت بزاد ما كان يرزؤها

لحـــى :

وفي حديث لقمان : فلحيا لصاحبنا لحيا اي لومـــا وعذلا ، وهو نصب على المصدر كسقيا ورعيـــا .

وقال عنتـــرة :

الـــم تعلم لحاك اللـــه اني اجشـم اذا لقيت ذوي الرماح

لقـــي :

انظـــر « ترك » .

نفس :

وجـــاء في الدعاء : اللهم نفس عني ، اي فرج عني ووسع علي .

نكـــد :

انظـــر « جحـــد »

هبـــل :

الهبل : الثكل ، وهبلته امـــه بمعنى ثكلته .

وهبلتك امـــك على الدعاء .

وفي حديث عمر — رضى الله عنه — حين فضل الوادعي ســهمان الخيل على المقاريف فاعجبه فقال : هبلت الوادعي امـــه لقد افكرت بـــه !

فالثكل هو الاصل في المعنى ، ثم يستعمل في معنى المدح والاعجاب ، يعني ما اعلمه وما اصوب رايـــه .

وفي حديث الشعبي : فقبل لامك الهبـــل .

هنـــا :

وقالوا : هنئت ولا تنكا ، اي هناك الله بما نلت ولا اصابك وجـــع .

وقالوا : لا هناك المرتـــع ، اي لا اصبت خيرا .

هـــوي :

وقال كعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه :

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ومـــاذا يؤدي الليل حتى يؤوب

ومعنى هوت امـــه اي هلكت امـــه .

ومـــا زال هذا الدعاء معروفا لدى الامهات في العراق في لغتهـــن الدارجة حين يعلمن بوفاة شاب يقلن : ماتـــت امه.

ويـــبه :

كلمة مثل ويل يراد بهـــا التعجب .

ويبـــا لهذا الامر اي عجبا .

وويبا ازيد مثل وويلا لزيـــد .

ومنـــه قول كعب بن زهير :

الا ابلغـــا مني بجيرا رسالـــة علي اي شيء ويب غيرك دلكا ؟

ويـــل :

كلمة مثل ويح الا انهـــا كلمة عذاب ، ومن هنا وردت في اسلوب الدعاء في قولـــه تعالى :

ويـــل للمطففين ...

وقولـــه : ويل لكل همزة لمـــزة .

وفي آيـــات اخرى :

وقالوا : ويلمه والاصل : ويل لأمه فحذف اللام ثـــم الهمزة وركبت الكلمتان على طريقة النحـــت .

ومن اقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وإياكم ومشورة حرب .

اقول : هذه نماذج بل شذرات من العربية مما استقريته من « لسان العرب » وغيره تشتمل على اسلوب الدعاء في العربية .

وعندي ان الالفاظ التي تقدم بين يدي الملك والامير والرئيس والعالم الجليل وغير هؤلاء من اهل الشان ضرب من اسلوب الدعاء في العربية المعاصرة نحو :

جلالة الملك .

ومعالي الوزير .

وسيادة الرئيس او فخامته .

وسعادة الامير .

وسماحة العالم ، ونيافة الحبر .

وبعد ألم يتوصل النابغة الذبياني الى النعمان مخاطبا بقوله :

اتاني ابيت اللعن انك لمتني وتلك التي تبتك منها المسامع

ثم اني قد وجدت من فيض هذه العربية السمحة ما يحق للمرء ان يملأ ماشفيه فخرا اذا قرأ مستمتعا بعض ما ورد من بيان التوحيدي في « اشاراته الالهية » فوجد من سيادة الدعاء اعلاق العربية النفيسة .

اللهم اني قد خدمت كتابك الكريم واللغة العلية التي جاءت فيه فاكتبني مع الصالحين .

د. ابرهيم السامرائي